مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية و الاجتماعية
المجلد (10) العدد (04) السنة (2023)
الصفحة263 –249

دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية في ظل تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال

The role of the school in socialization in light of the development of information and communication technology

حملاوي مهتور

جامعة 20أوت 1955سكيكدة، mehtour.hamlaoui@yahoo.fr

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2023/07/05
تاريخ القبول:2023/12/20

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

هدف هذا البحث إلى التعريف بالدور المنتظر من المدرسة أن تؤديه؛ في ظل التطور الهائل لتكنولوجيا الإعلام والاتصال، فالمدرسة بوصفها المؤسسة التربوية والتعليمية الأولى؛ التي تعمل على إعداد التلاميذ معرفيا وسلوكيا وأخلاقيا، ليكونوا أعضاء صالحين وفاعلين في المجتمع، هي أولى المؤسسات المعنية بالانفتاح على هذا التطور ومواكبته.وبرؤية تحليلية ننتهي إلى التأكيد على أن وسائل الإعلام والاتصال الحديثة؛ تلعب دورا هاما وخطيرا في حياة الناشئة، وينبغي على المدرسة أن تتعامل معها بحذر، وتعمل على ترسيخ القيم الإسلامية الأصيلة لدى المتعلمين لحمايتهم من خطر التشتت والضياع.

الكلمات المفتاحية: المدرسة، التنشئة الاجتماعية، الإعلام، الاتصال، الانفتاح، الحذر.

ABSTRACT

The aim of this research is to determine the role that the school is expected to play in light of the tremendous development of information and communication technology. school as a primary educational institution; Its goal is to work on raising students cognitively, behaviorally and morally so that they are good and active members of society. It is the first institution concerned with openness to this development and keeping pace with it.

With an analytical vision, we conclude that modern media and communication; It plays an important and dangerous role in the lives of young people, and the school must deal with it with caution, and work to consolidate authentic Islamic values among the learners to protect them from the danger of dispersion and loss.

Keywords: School, socialization, media and communication, openness, caution.

مقدمة:

لقد كشف الإنسان منذ القدم عن رغبته في تحصيل المعرفة؛ وكان يسعى باستمرار إلى البحث عن مصادرها ووسائلها، وقد تمكن من تحصيل قدر هائل من المعارف، وانتبه إلى أهمية التعليم في نقل المعارف، والخبرات والمهارات المتنوعة، ولكنه سرعان ما أدرك بأن إنسانيته لا يمكن أن تكتمل إلا بالجانب الروحي والأخلاقي، فبدأ يهتم بالتربية حيث ظهرت هذه الأخيرة على مر العصور جنبا إلى جنب مع التعليم بصيغ متباينة لدى الشعوب والأمم؛ فكان لليونانيين نمط التعليم والتربية الخاص بهم، وكان للرومانيين نمطهم الخاص في التربية والتعليم، وكذلك الشأن بالنسبة لليهود، والمسيحيين، والمسلمين.

ويكتسي الحديث عن دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية؛ أهمية بالغة بالنسبة للمسلمين؛ في عصرنا هذا، الذي أصبح الإعلام سمة بارزة له، وقد تعاظم نفوذه خاصة مع تطور وسائله وتنوعها، حيث أصبحت له قدرة كبيرة على نشر الأفكار، والتأثير في المفاهيم، والقيم الأخلاقية والتربوية لكافة الشرائح المجتمعية، وبتوفر سهولة الاتصال؛ أضحى الإعلام العولمي شبحا مخيفا يخترق الحدود، ويكسر القيود، ويهدّد بمضامينه ومحتوياته هوية الشعوب والأمم، ولأن ما يعرضه الإعلام العولمي لا ينسجم دائما مع قيمنا، وعاداتنا، وتقاليدنا، تلك التي اجتهدت التربية الإسلامية في غرسها في الناشئة؛ فقد بات من الضروري التنبيه إلى خطر الإعلام العولمي؛ الذي أصبح يشكل تهديدا خطيرا للتربية، هذه الأخيرة التي تعتبر المدرسة أول مؤسسة رسمية تتولى القيام بها، حيث تعمل على تكوين المتعلمين وإعدادهم معرفيا وسلوكيا، وروحيا، وأخلاقيا، ومهنياً، ليكونوا أفرادا ناجحين في المجتمع، وضمن هذا السياق يأتي بحثنا هذا، والذي نسعى من خلاله إلى إبراز دور المدرسة في إعداد وتكوين الجيل الجديد؛ في ظل الثورة العلمية والتكنولوجية، التي يشهدها العالم اليوم، وهذا عبر إثارتنا لجملة من الأسئلة الهامة، وعلى رأسها: مامفهوم التنشئة الاجتماعية؟ مامفهوم المدرسة وما هو دورها في التنشئة الاجتماعية؟ ما مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال؟ وما هو الدور المنتظر من المدرسة أن تؤديه في ظل حتمية الانفتاح على البيئة العولمية، والإعلامية والاتصالية الجديدة، التي تكشف عن انحرافات فكرية وعقدية، تشكّل تهديدا خطيرا لخصوصيتنا وأمننا الفكري، وهويتنا العربية الإسلامية؟

وقد اعتمدنا في محاولة الإجابة عن الأسئلة المطروحة؛ على المنهج التحليلي؛ وعملنا على وضع خطة تستجيب لمسعانا المنهجي، وهي الخطة التي اشتملت على مقدمة وخمسة عناصر، وخاتمة، حيث نتناول في العنصر الأول مفهوم التنشئة الاجتماعية، ونستعرض في الثاني مفهوم المدرسة ودورها في التنشئة الاجتماعية، ونعمل في العنصر الثالث على ضبط مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال، ونعالج في العنصر الرابع موضوع المدرسة بين حتمية الانفتاح وضرورة الحذر أما العنصر الخامس والأخير فقد خصصناه للحديث عن المدرسة ودورها في تحقيق الأمن الفكري، وننهي بحثنا بخاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها، وهذا على النحو الآتي:

2- مفهوم التنشئة الاجتماعية:

لا أحد بإمكانه أن يفلت من قبضة اللغة، فهي بمثابة السلطة المرجعية التي تفرض نفسها علينا، ونحن لا نملك إلا أن نذعن لها، ونحتكم إليها في أية محاولة لضبط مفهوم ما، وفي محاولتنا لضبط مفهوم التنشئة الاجتماعية، سننطلق من اللغة، وفي هذه الأخيرة نجد بأن التنشئة من نشأ ينشأ نشأً ونشاء: ربا وشبّ. ونشأت في بني فلان نشأً ونشوءا: شببت فيهم (ابن منظور، 1999، صفحة 134). وهذا يعني أن التنشئة تحمل في طياتها معنى التربية، وكلا من التنشئة الاجتماعية والتربية يعتبران من أكثر المواضيع حضورا؛ في مجال علم الاجتماع التربوي، ولكن مفهوم التنشئة الاجتماعية، لا يتم استخدامه وتداوله كثيراً في مجالات التعليم المدرسي، وإنما يتم استخدامه في الإشارة للتنشئة الأسرية

بسبب قيام الأسرة بتلك الوظيفة؛ على الرغم من أنّ الوظيفة الأساسية للتعليم والتربية تكمن في تحقيق التنشئة الاجتماعية للأفراد وبالتالي يمكننا القول أن عملية التنشئة الاجتماعية للفرد هي في أساسها عملية تربوية، وهذا يعني أن مفهوم التنشئة يندرج في إطار التربية كمفهوم عام، لأن التربية تهتم بتنمية الجوانب الجسمية، والعقلية، والوجدانية والاجتماعية، فهي عملية شاملة ومتكاملة.

فالتربية هي تلك العملية التي تستهدف تنمية الوظائف الجسمية، والعقلية، والخلقية سعيا منها إلى تحقيق الكمال عن طريق التدريب والتثقيف، وهي علم يهتم بالبحث في أصول ومناهج وعوامل وأهداف التربية الكبرى، آخذا بعين الاعتبار الطابع الاجتماعي الذي تتميز به التربية، فهو يدرسها باعتبارها ظاهرة اجتماعية تخضع في عملية نموها وتطورها لما تخضع له الظواهر الأخرى (مجمع اللغة العربية، 1983، صفحة 42، 43)، فالتربية هي في صميمها تنشئة، وهذا ما أشار إليه جميل صليبا في معجمه الفلسفي، حيث يقول عن التربية بأنها: «تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا تقول:ربّيت الولد، إذا قويت ملكاته، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة. وتقول تربى الرجل إذا أحكمته التجارب، ونشّأ نفسه بنفسه» (صليبا، 1982، صفحة 266).

ومن هنا تظهر التربية على أنها تلك التنشئة، وذلك التدريب الفكري والأخلاقي، وتطوير القوى العقلية والأخلاقية عن طريق التلقين المنظم سواء في المدارس أو مؤسسات أخرى تتولى عملية التربية، وهذه الأخيرة أوسع مدى من التعليم الذي يمثل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم ليرقى بمستواه في المعرفة في دور العلم (الصالح، 1999، صفحة 182).

وينكشف لنا ذلك الترابط والتداخل بين التربية والتنشئة؛ إذا علمنا أن التنشئة الاجتماعية هي تلك العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم العيش في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع (بدوي، 1977، صفحة 130)، كما تعرف التنشئة الاجتماعية أيضا بأنها "العملية الاجتماعية الأساسية؛ التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره فيها، وهي عملية مستمرة مدى الحياة وضرورية لتكوين ذات الطفل وتطوّر مفهومه عن ذاته كشخص، وخاصة من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه وكذلك عن طريق تعلم كيفية أداء الأدوار الاجتماعية المختلفة الذي يؤدي بدوره إلى ظهور الذات الاجتماعية المميزة بالنمو السليم" (غيث، 1997، صفحة 271).

وبذلك يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية لا تخرج عن كونها عملية تطبيع اجتماعي، فمن خلالها يتم إكساب الفرد مفاهيم جديدة من خلال وجوده في بيئة يؤثر ويتأثر بها. أوهي عملية تعلم مستمرة باستمرار حياة الأفراد من الطفولة حتى الشيخوخة، أو هي عملية تحويل الكائن الحي البيولوجي إلى كائن اجتماعي، أي أن الكائن البشري يتحول من كائن تغلب عليه حاجات ودوافع أولية إلى كائن له دوافع وحاجات من نوع جديد ذات أصل اجتماعي وللتنشئة الاجتماعية جانبان، الأول كفي والثاني تشجيعي (مسعود، 2011، صفحة 168)، فالتنشئة الاجتماعية تنطوي على البعد الاجتماعي، فهي تسعى إلى تكوين الإنسان الاجتماعي التواصلي الذي يستطيع التكيّف مع المجتمع الذي يعيش فيه، وهو المجتمع الذي تشبّع ونهل من ثقافته.

ويرتبط مصطلح التنشئة الاجتماعية بالنمو الاجتماعي للفرد منذ ولادته، ويتعلق هذا النمو بعلاقة الفرد بالمجتمع فهو يحمل معنى التنشئة الاجتماعية المنظمة؛ التي تتم عبر المؤسسات الاجتماعية الرسمية سواء التقليدية أو الحديثة، والتي

تكون من ورائها سلطة تشرف عليها وتوجهها حسب ما تتوقعه من الفرد في المستقبل، وبهذا تدخل المؤسسات، وهيئات أخرى تقوم بوظيفة التشكيل الاجتماعي للفرد وهكذا تكون التنشئة الاجتماعية عبارة عن"عملية تعليم وتعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد- طفلا فمراهقا، فراشدا، فشيخا- سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته، والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية" (زهران، 1984، صفحة 243)، وهذا يكشف لنا بوضوح أن عملية التنشئة الاجتماعية؛ لا تتم إلا عن طريق التفاعل الاجتماعي.

فعملية التنشئة الاجتماعية تتميز بكونها عملية تعلم اجتماعية ديناميكية، تتحقق من خلالها عملية النمو المتواصل للفرد وإشباع حاجاته، وتحقيق تكيفه مع المجتمع الذي يعيش فيه، وكذا عملية نقل القيم وحفظها من الزوال وهذا ما تسهر عليه ما تسمى بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، التي تقوم بمهمة التنشئة الاجتماعية للطفل، وهذا من خلال تنمية الجوانب والمهارات الاجتماعية على النحو الذي يمكّنه من التكيف الاجتماعي الناجح، وقد تعددت المؤسسات الاجتماعية التي تشرف على عملية التنشئة الاجتماعية؛ فهناك المؤسسات التقليدية كالأسرة وهي الوسط الأول الذي يتعامل معه الطفل عند ولادته وقد كانت الأسرة هي المؤسسة التي تهيمن على عملية التنشئة الاجتماعية لأفرادها، ليتقلص دورها بعد ذلك بظهور مؤسسات اجتماعية جديدة، كالمدرسة والمسجد، وهي تعتبر مؤسسات تقليدية مثل الأسرة، وهذا بالنظر للمؤسسات الحديثة التي نشأت نتيجة للتطور التكنولوجي والتقدم المدني، مثل النوادي الرياضية والثقافية، والتي تستقطب الكثير من الأفراد، والتي أنشأت خصيصا لشغل وقت الفراغ وتزويده بالخبرات الاجتماعية، ومثل وسائل الإعلام التي تعتبر مؤسسة ذات فعالية كبيرة في التنشئة الاجتماعية والتأثير على الأشخاص وبناء الاتجاهات، وتوجيه الرأي العام.

ويمكننا القول بأن مؤسسات التنشئة الاجتماعية هي الإطار الأمثل لتحقيق أهداف المجتمع وغاياته، فهي تعمل على تنمية سلوك الفرد طبقا لمعايير الجماعة التي ينشأ فيها، وعبرها يتم إكساب الفرد ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه فيتم الارتقاء بالفرد من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي.

3- مفهوم المدرسة ودورها في التنشئة الاجتماعية:

تعتبر المدرسة بمثابة المؤسسة الاجتماعية الرسمية الأولى التي تقوم بوظيفة التربية، وتعمل على نقل الثقافة لتكوين شخصية الفرد، وتقرير اتجاهاته وسلوكه وعلاقاته بالمجتمع، فالطفل يدخل المدرسة مزودا بالكثير من المعايير الاجتماعية والقيم والاتجاهات التي تلقاها عبر تنشئته في الأسرة؛ حيث توسع له الدائرة الاجتماعية في شكل منظم، ويتعلم أدوار اجتماعية جديدة، وأنماط السلوك والتوفيق بين حاجات الآخرين كما يتعامل مع مدرسيه كقيادات جديدة فيزداد تفاعله وتنشئته شيئا فشيئا (شفيق، 1997، صفحة 94).

وقد تنبّه الكثير من الفلاسفة والمفكرين إلى أهمية الدور الذي تؤديه المدرسة في المجتمع، ومن هؤلاء الفيلسوف والمربي الأمريكي جون ديوي الذي عمل على ربط المدرسة بالمجتمع. وعلى الرغم من أن الفكرة ليست جديدة أو مبتكرة في التربية؛ فإن جون ديوي قد أحياها وأكد عليها من جديد، وبيّن بأن المدرسة جزء لا يتجزأ من المجتمع، وأنها ينبغي أن تكون مجتمعا مصغرا مشذبا من الشوائب التي نجدها في المجتمع الكبير (ديوي، 1978، صفحة 16).

فالمدرسة هي مصدر من مصادر التنشئة الاجتماعية، فمن خلال المدرسين والإدارة تقوم المدرسة بتعليم الطفل الانضباط، ويعتبر المعلم فيها بديلا للأب بالنسبة للطفل، وما يتعلمه الطفل في المدرسة يؤثر سلبا أو ايجابا عليه، وهو ما يؤكد أهمية المرحلة الابتدائية في التنشئة الاجتماعية، وضرورة الاهتمام باختيار معلم المرحلة الابتدائية المناسب لتعليم

الأطفال (مسعود، 2011، صفحة 169،170)، فالتعليم الذي يتلقاه الطفل هو بمثابة القاعدة والأساس لمراحل حياته اللاحقة، ومن هنا وجب الاهتمام بالتكوين القاعدي للفرد في المدرسة، لكي يكون مؤهلا للاندماج في المجتمع .

فمن أهم العمليات التي تقوم بها المدرسة، القيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية، وتطبيع الأفراد تطبيعاً اجتماعياً حتى يكونوا أعضاء صالحين يساهمون في خدمة المجتمع، ويعملون على تقدمه وتطوره المستمر والحفاظ على هويته الثقافية، وهذا يعني أن المدرسة تقع على عاتقها مهمة صعبة وهامة ومصيرية، ومن هنا أمكن القول أن المدرسة هي "المؤسسة الخطيرة التي أنشاها المجتمع لتتولى تربية نشئه الطالع، وهي تلك المؤسسة القيمة على الحضارة الإنسانية، وهي الأداة التي تعمل مع الأسرة على تربية الطفل" (ابراهيم، 1409، صفحة 117).

ولذلك نجد بأن علماء الاجتماع كثيرا ما يتحدثون عن التنشئة الاجتماعية باعتبارها تمر في مرحلتين عرضتين وتشمل عددا من العوامل الفاعلة المؤثرة في التنشئة. وتشمل هذه العوامل الفاعلة على الجماعات أو السياقات الاجتماعية التي تجري فيها عمليات التنشئة المهمة. وتجري التنشئة الاجتماعية الأوليّة في مرحلتي الرضاعة والطفولة، وتعتبر هذه هي الفترة التي يصل فيها التعلم الثقافي أقصى درجات الكثافة. إذ إن الأطفال يتعلمون فيها اللغة وأنماط السلوك الأساسية التي تشكل الأساس لمراحل التعليم والتعلم اللاحقة. وتكون العائلة هي الفاعل المؤثر الأبرز والأكثر أهمية في هذه الفترة. أما التنشئة الثانوية، فتحدث في فترة لاحقة من الطفولة، وتستمر حتى سن البلوغ. وهنا تتدخل المدرسة لأداء دورها في تكوين الفرد وتعليمه منظومات القيم والمعايير والمعتقدات التي تشكّل الأنماط والعناصر الأساسية في الثقافة (غدنز، 2005، صفحة 88،89)

وهنا ينبغي التأكيد على أن المدرسة تؤدي دورين أساسيين في المجتمع الذي تنشأ فيه، أولهما نقل التراث الثقافي بعد تخليصه من الشوائب، وهي من خلال ذلك تعمل على ربط الأجيال بعضها ببعض، وثانيهما إضافة ما ينبغي إضافته لكي يحافظ المجتمع على حياته، أي تجديد المجتمع أو تغييره بشكل مستمر، فما يريده" أفضل والد لطفله يجب أن يستهدفه المجتمع لكل أطفاله، وأي نموذج آخر لمدارسنا غير هذا يكون ناقصا وغير مقبول... فكل ما أنجز المجتمع لنفسه قد وضع ـ برعاية المدرسة ـ ، رصيدا لأعضائه في المستقبل، والمجتمع يأمل أن يحقق أفضل الآراء عن نفسه خلال الإمكانات الجديدة التي تنفتح في المستقبل (ديوي، 1978، صفحة 31).

فالمدرسة إذن هي المؤسسة الاجتماعية؛ التي أنشاها المجتمع لتكوين أفراده؛ تكوينا يسمح له بتحقيق أهدافه المنبثقة من ثقافته، فالمدرسة تعمل على تنمية الإطار الثقافي المشترك لتماسك أبناء المجتمع من خلال نقل قيم المجتمع وأفكاره واتجاهاته من جيل إلى جيل، وتنقية هذا التراث، وتجديده بانتقاء أفضل ما فيه لتشكيل شخصية التلميذ من جميع الجوانب.

فعلى المدرسة تقع مسؤولية تقديم الرعاية النفسية والاجتماعية لكل طفل، ومراعاة قدرات التلميذ وتفهمها وصقل مهاراته، والعمل على تنمية شخصيته ضمن إطارها الاجتماعي المحدد، كما تعمل المدرسة على تعليم التلميذ كيف يضبط سلوكه، ويحقق أهدافه بطريقة متلائمة تتفق مع المعايير الاجتماعية، وكذا إكسابه العادات الصحية والسليمة التي تساعده على الاحتفاظ بسلامة بدنه والوقاية من الأمراض، وتنمية العادات الغذائية السليمة، وكذا تزويده بأساليب التفكير العلمي وتحفيزه على الأداء والإنجاز وإتقان العمل، كما تعمل المدرسة على توجيه التلاميذ وإرشادهم لاختيار المجال التعليمي والتخصصي، وما يترتب عليه من تحديد المهنة التي سيزاولونها في المستقبل (الحاج، 2003، صفحة 255).

ولكي تنجح المدرسة في أداء وظيفتها العلمية، والمعرفية، والنفسية، والاجتماعية ينبغي لها أن تمتلك العنصر البشري القادر على القيام بمسؤوليته على أكمل وجه، بحيث يقدم كل فرد من الطاقم المكون للمدرسة الدعم المناسب لتوفير الإطار المناسب للتلاميذ لتلقي دروس العلم والمعرفة، ولذلك فمن الضروري العمل على توعية كل العاملين في المدرسة بأهمية القدوة الحسنة ليقتدي بهم التلاميذ، لذا كان من أهم العوامل المدرسية التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية للطفل شخصية المعلم، فهو مصدر المعرفة والسلطة التي يجب طاعتها، والمثل الأعلى الذي يقتدي به الطفل، ولذلك ينبغي للمعلم أن يكون متسلحاً بالمعرفة والفضائل الأخلاقية والاجتماعية، لأنه يؤدي دورا بارزا في إعداد الطفل نفسيا واجتماعياً، وهو الذي يبث في نفوس التلاميذ أهمية الإحساس بواقع المجتمع وآماله وتطلعاته ومشكلاته، و"دورهم في كيفية التغلب عليها مما يعمل على تهيئة التلاميذ تهيئة اجتماعية كجزء مكمل من عملية التكيف الاجتماعي" (ابو رزق، 1425، صفحة 288).

وقد بينت الدراسات أنه كلما زاد نصيب الفرد من التعليم، زادت اتجاهاته التحررية، ولما كان نصيب الأبناء من التعليم يفوق ما حصل عليه آباؤهم، كان من المتوقع أن تكون اتجاهات الأبناء أكثر تحررا من الآباء. وهذه هي إحدى أبعاد الظاهرة المعروفة باسم:" الفجوة بين الأجيال" (مسعود، 2011، صفحة ص120).

والمؤكد أن قبول التغيرات الاجتماعية، كما يذهب إلى ذلك أندرسون مرهون بشروط أساسية ثلاثة وهي:- الحاجة إلى التغير: فالحاجة هي أم الاختراع، بمعنى أن يكون المجتمع في وضع يقبل التغير حين يكون هناك وعي بأنه لازم لتحقيق الأهداف، على نحو أكثر فاعلية.- التوسع في الإشباع: ربما تقبل التغيرات، إن كانت أقدر من العوامل القديمة على إشباع الحاجات للحضارة.- النفع الثابت: قبول التغيير بسهولة، هو دليل النفع والفائدة المتزايدة (مسعود، 2011، صفحة 125).

وثمة حقيقة ينبغي تأكيدها هنا، وهي أن لدى الإنسان دائما الخوف من الجديد، والميل إلى تبجيل الماضي وتقديسه، فالشك في الجديد وما سوف يأتي به، يريب كل المجتمعات، وبخاصة تلك التقليدية والمتخلفة، وتبجيل الماضي وإجلال موالاته، هما من معوقات التغير، ولذلك طالما قاومت المجتمعات كل تغير يعتري ما ألفته من مفاهيم راسخة كالتغيرات التي تتعلق بخروج المرأة للعمل، أو التعليم أو السفر إلى الخارج، أو إدخال التكنولوجيا الحديثة (مسعود، 2011، صفحة 126).أو ما يعرف بتكنولوجيا الإعلام والاتصال.

4- مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

حرّي بنا قبل أن نتعرف على مفهوم تكنولوجيا الإعلام والاتصال أن نتعرف بداية على معنى كل من الإعلام والاتصال، فنقول بأن أصل كلمة الإعلام في اللغة هي من مادة عِلْم، والعِلْمُ نقيضُ الجهل وعَلِمَ الرجل أي خَبَّره وأحبَّ أن يُعلِمهُ أي أن يُخبِرَه (ابن منظور، 1300هـ، صفحة 313،311)، وأعلمته وعلمته في الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع والتعليم اختص بما كان بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم (الأصفهاني، د.ت، صفحة 464)، ويمكن القول أن المعنى اللغوي للإعلام يدور حول الإخبار، والتعريف ونقل المعلومات إلى الآخرين عن طريق الكلمة أو غيرها.

وقد تعددت تعاريف الإعلام وتنوعت لدى المهتمين بشؤون الإعلام، ومن هذه التعاريف نجد على سبيل المثال: الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع، أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبّر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم، ومنها: الإعلام هو كل نقل للمعلومات، والمعارف، والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة عبر

أدوات ووسائل الإعلام والنشر، الظاهرة والمعنوية ذات الشخصية الحقيقية أو الاعتبارية، بقصد التأثير سواء اعتبر موضوعا أم لم يعتبر، وسواء أكان التعبير لعقلية الجماهير أم لغرائزها، ومنها: الإعلام هو إيصال معلومة معينة إلى المتلقي لهدف معين بأسلوب يخدم الهدف ويتوقع منه أن يوثر في المتلقي ويغير من ردود فعله، وكلما سمى الهدف والأسلوب كان الإعلام عامل بناء في المجتمع، وكلما كان العكس كان الإعلام عامل هدم في المجتمع (راضي، 1417هـ، صفحة 27،28،29).

أما الاتصال فيشير إلى انتقال المعلومات أو الأفكار أو الاتجاهات أو العواطف؛ من شخص أو جماعة أخرى من خلال الرموز، والاتصال هو أساس كل تفاعل اجتماعي، فهو يمكننا من نقل المعارف والتفاهم بين الأفراد (عيساني، 2008، صفحة 12).

وعلى ضوء ما سبق عرضه يمكننا القول أن تكنولوجيا الإعلام والاتصال أو ما يعرف بتكنولوجيا المعلومات هي "التكنولوجيا الإلكترونية اللازمة لتجميع واختراق وتجهيز وتوصيل المعلومات. كما تعرف بأنها ثورة المعلومات المرتبطة بصناعة وحيازة المعلومات وتسويقها وتخزينها واسترجاعها وعرضها وتوزيعها؛ من خلال وسائل تكنولوجية حديثة، ومن خلال الاستخدام المشترك للحاسبة الإلكترونية ويعرفها البعض على أنها مجموعة المكونات المادية، والبرامجيات والموارد البشرية بالإضافة إلى القدرات التكنولوجية العالية في مجال الاتصالات المختلفة" (الشمايلة، اللحام، و كافي، 2015، صفحة 29،30)، وقد أنتجت تكنولوجيا الإعلام والاتصال مفهوما جديدا يتماشى مع الوضع الجديد الذي يعيشه العالم، وهو مفهوم مجتمع المعلومات.

ومجتمع المعلومات هو مجتمع شامل يتمكن فيه جميع الأشخاص؛ بدون تمييز من أي نوع كان من إنشاء المعلومات والمعارف وتلقيها، وتقاسمها، والاستفادة منها بأية وسيلة من الوسائل؛ دون اعتبار للحدود الجغرافية فمجتمع المعلومات يركز على العنصر البشري، وذواته هم المواطنون والمجتمعات، ويفترض بهذا المجتمع أن يكون في خدمة البشرية، وأن يعمل على تكوين بيئة تسمح بنشر المعلومات والمعارف، كما تسمح لجميع القطاعات باستغلالها في تنميتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والساسية، ويمثل مجتمع المعلومات شكلا جديدا ومرحلة أعلى من مراحل التنظيم الاجتماعي، تتضافر فيه شبكات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتطورة، ويتوافر فيه المحتوى الملائم في نسق يمكن النفاد إليه، كما يجب أن تتوافر فيه سبل الاتصالات الفعالة (الشمايلة، اللحام، و كافي، 2015، صفحة 46).

ولأن تكنولوجيا الإعلام والاتصال قد عملت فعلا على تغيير وجه العالم؛ اجتماعيا، واقتصاديا وثقافيا؛ فإنها ومن دون شك قد أصبحت تمثل تحديا للمدرسة، بوصفها المؤسسة التي تسعى إلى تحقيق التغيير الذي ينسجم مع ثقافة المجتمع، هذه الأخيرة التي أصبحت مهددة في خصوصيتها من طرف ثقافة العولمة التي بسطت نفوذها على العالم.

5- المدرسة بين حتمية الانفتاح وضرورة الحذر:

تعمل المدرسة كما رأينا على إعداد الفرد الاجتماعي التواصلي المنفتح على الآخرين، وهذا ما ينسجم مع قيم الدين الإسلامي، الذي جاء فيه ما يؤكد بأن الله عز وجل لم يخلق الإنسان، ليكون كائنا انعزاليا يحيى على انفراد، بل خلقه ليتعارف ويتواصل مع الآخرين، حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات الآية13)، ومن هنا كان يجب على الإنسان المسلم أن يكون تواصليا متفتحا على الآخرين.

والإنسانية في وقتنا الحاضر تشهد انفتاحا معرفيا وثقافيا وحضاريا لا حدود له، وهذا بفضل التطور المذهل والسريع لوسائل الإعلام والاتصال، التي حوّلت العالم إلى فضاء عالمي تجتمع فيه مختلف الثقافات، وتتفاعل وتؤثر وتتأثر

ببعضها البعض، وهذا يشكّل ومن دون شك تهديدا للخصوصية الفكرية والحضارية والهوية الثقافية لشعوب المعمورة بوجه عام، ولهوية الشعوب العربية الإسلامية على وجه الخصوص، وهذه الأخيرة شأنها شأن كل المجتمعات الإنسانية ستطالها عملية التغير والتغيير الحاصلة من حولها.

فالتغير سنة كونية، حيث لا يمضي الزمن على شيء إلا وغيّره كما يقال، ويتجلى التغير في كل مظاهر الحياة الاجتماعية؛ مما حدا ببعض المفكرين وعلماء الاجتماع إلى القول بأنه لا توجد مجتمعات وإنما الموجود تفاعلات وعمليات اجتماعية في تغير وتفاعل مستمرين أما الجمود نفسه في أي ناحية من نواحي الحياة الإنسانية فأمر لا يمكن التسليم به، ولا الموافقة عليه.

فقد تعرضت المجتمعات الإنسانية المختلفة منذ فجر نشأتها للتغير خلال فترات تاريخها، ولا يقتصر التغير الاجتماعي على جانب واحد من جوانب الحياة، الإنسانية والاجتماعية؛ وإذا بدأ فمن الصعب إيقافه، نتيجة لما بين النظم الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي بعامة، من ترابط وتساند وظيفي وفي هذا الصدد حدد ولبرت مور"Moore" أهم سمات التغير، كما يلي:أ- يتكرر التغير في أي مجتمع أو ثقافة، ويتسم بالاستمرارية والدوام. ب- يطال التغيير كل مكان، حيث تكون نتائجه بالغة الأهمية. ج- يكون التغير مخططا مقصودا، أو نتيجة للآثار المترتبة على الابتكارات والمستحدثات المقصودة.د- تزداد قنوات الاتصال في حضارة ما بغيرها من الحضارات، بازدياد إمكانية حدوث المستحدثات الجديدة هـ- تكون سلسلة التغيرات التكنولوجية المادية، والجوانب الاجتماعية المخططة، منتشرة على نطاق واسع، على الرغم من الجنوح السريع لبعض الطرق التقليدية (مسعود، 2011، صفحة 123).

وقد انتبه الإنسان منذ القدم لأهمية الإعلام وقوة تأثيره، وإحداثه للتغيير، فظهرت الخطابة واستغل الخطباء البلغاء للتأثير على الجماهير، خاصة في الحروب والأزمات، وعندما ظهرت الصحف والمجلات والإذاعة في أوقات متقاربة تعاظم تأثير الإعلام، وظل هذا الأخير يكبر وينمو، ويؤثر في الناس حتى ظهرت الأفلام صامتة ثم ناطقة ثم التلفاز، وأخيرا قنوات البث المباشر، وقد أصبح الإعلام بوسائله المتعددة سمة لعصرنا هذا، وهو نتاج طبيعي وحتمي للتقدم التقني الهائل (راضي، 1417هـ، صفحة 21،17).

وقد أصبح لوسائل الإعلام في عالمنا المعاصر؛ قدرة عالية على التأثير القوي والفعال على المتلقي، نظرا لوفرتها وتنوعها، وجاذبيتها، حيث يتم توظيف جميع الجوانب الجمالية والنفسية في جذب الانتباه والتأثير، والإقناع، بالإضافة إلى خصوصيتها، حيث يمكن للمتلقي التعامل مع تلك الوسائل بخصوصية تامة، كما يحلو له، ولعل أخطر ميزة تتميز بها وسائل الإعلام هي خاصية عدم الالتزام فهناك وسائل إعلام كثيرة لا تلتزم بالقيم، ولا تقيم وزنا للمعايير الأخلاقية أو الثقافية أو الاجتماعية؛ مع قدرتها على اختراق كل المجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية عموما، وهذا ما جعل أثر الإعلام يفوق أثر المدرسة والأسرة، وجميع مؤسسات المجتمع الأخرى (الشميمري، 2010، صفحة 41،40) وإذا كانت وسائل الإعلام على هذه الدرجة من القدرة على التأثير على المتلقي أينما كان، وحيثما وجد فإنها ومن دون شك ستكون بمثابة المنافس الشرس للتربية، خاصة وأن هذه الأخيرة لا تسير بنفس إيقاع وسائل الإعلام.

ولقد أصبح واضحا وجليا أن عصرنا هذا يشهد إيقاعا متسارعا في التحولات المختلفة؛ والناس يخافون في العادة من الجديد باعتباره فرعا من المجهول، ولذلك نجد أن المؤسسات التربوية على اختلاف مستوياتها وأنواعها تميل إلى أن تكون تقليدية محافظة؛ إلى درجة أن تبدو وكأن مهمتها هي المحافظة على الوضع الراهن وتثبيته (الشيباني، 1988، صفحة 31،30).

وحين تعصف رياح التغيير بالمجتمع، ويكون تطور المؤسسات والأساليب التربوية بطيئا على مثل إيقاع السلحفاة، فإن الناس سينظرون إلى التربية ومن دون شك على أنها عامل تخلف؛ وقد حدث شيء من هذا منذ عقود، حيث أن بعض الأعمال المسرحية والفكاهية، أظهرت"المعلم" على أنه شخص تقليدي بطيء الفهم، متبلّد الشعور وسطحي، وميّال إلى التمسك بالقشور، وهنا يمكن التأكيد على أن المهمة الجديدة للتربية ليست أن تعد الأجيال لقبول التغيرات الكثيفة القادمة والتكيف معها فحسب؛ وإنما السيطرة عليها، واستخراج خير ما فيها إلى جانب المقاومة العنيدة للسيئ والضار منها (بكار، 2011، صفحة 19).

وينبغي للقائمين على التربية أن يدركوا بأن صناعة الإعلام في العالم ليست عملية عبثية لا هدف لها، وليست ممارسة عدمية لا طائل من ورائها، بل هي صناعة هادفة وواضحة المعالم، ولا همّ لها إلا التأثير على المتلقي، وهذا الأخير يتأثر سلبا أو إيجابا، وحتى الشخص الذي لا يتعرض لوسائل الإعلام فإنه يتأثر بدرجة ما، من خلال زملائه وأقرانه والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه (الشميمري، 2010، صفحة 43،42).

وهنا ينبغي التأكيد على أن لوسائل الإعلام القدرة على تغيير مواقف الأفراد واتجاهاتهم، وتغيير القيم التي يتبنونها عبر التنشئة الاجتماعية، كما يمكنها أن تعمل على تغيير سلوكاتهم، سواء كانت هذه السلوكيات نافعة أو ضارة ففي كل مجتمع هناك مؤسسات تقوم بتنشئة الأفراد وتثقيفهم وتعليمهم السلوك المقبول اجتماعيا، وتزويدهم بالمعارف والعقائد، والقيم التي تشكل هويتهم الثقافية والحضارية، مثل البيت والمدرسة، والرسالة الإعلامية سواء كانت في شكل خبر أو فكاهة أو برنامج وثائقي، فإنها تستطيع أن تعمل على إزالة قيمة من القيم وتثبيت أخرى محلها، أو تعمل على ترسيخ شيء قائم، وتتصدى لآخر قادم (الشميمري، 2010، صفحة 58،56).

إن لتطور الإعلام ولا شك أثره السلبي على القيم؛ التي اجتهدت التربية في غرسها والتمكين لها في المجتمع، فالإعلام العولمي اليوم أضحى خطرا على القيم الوطنية، وقيم الهوية والانتماء، فقد أصبح الإعلام اليوم في خدمة قوى العولمة، وعلى التربية الإعلامية في المجتمع العربي والمسلم في ظل الوضع الإعلامي العولمي الجديد أن تعمل على فحص المحتويات والمضامين الإعلامية، وأن تدرك أهمية الإيديولوجيا والعقيدة في بناء الإنسان فكريا وثقافيا.

وليس من باب المبالغة القول أن المجال التربوي هو أهم مجال بالنسبة للإعلام العولمي، وهو المستهدف الأول من طرفه، فهو من جهة يرتبط بالأطفال والشباب الذين يشكّلون حاضر الأمة ومستقبلها وهو من جهة أخرى يشكّل ذاكرة الأمة وتاريخها، ووعيها وثقافتها وهويتها، ومعتقداتها الدينية والسياسية والإيديولوجية (حارص، 2008، صفحة 60)، وقد بات واضحا وجليا أن تأثير الإعلام على الأطفال والشباب هو أمر ثابت ومؤكد، فقد يتحول التلفزيون مثلا إلى مصنع للجنس، والفزع، والخوف، والرعب وهي كلها أمور تتنافى مع آدابنا، وقيمنا، ومبادئ ديننا (إمام، 1989، صفحة 174).

ووسائل الإعلام والاتصال أصبحت اليوم كثيرة ومتنوعة، فمنها المرئية، والمسموعة، والمقروءة، ومن هذه الوسائل على سبيل المثال التلفزيون والقنوات الفضائية عبر البث الأرضي، والأقمار الصناعية والأنترنت، وكوابل الألياف البصرية؛ المحطات الإذاعية الأرضية، والفضائية، والرقمية الصحف والمجلات الشاملة والمتخصصة، المحلية والعالمية؛ مواقع الانترنت، الشخصية، والحكومية، والتجارية المنتديات والمدونات والصحف الإلكترونية؛ مواقع الشبكات والتواصل الاجتماعي والشخصي والمجموعات البريدية؛ وقد أصبح عدد وسائل الإعلام من الكثرة بحيث يكاد يستعصي على الحصر، ووسائل الإعلام لا تزال في ازدياد وتنوع ونمو وتضخم، كميا ونوعيا، يوما بعد يوم (الشميمري، 2010، صفحة 38).

وقد تمكنت الثقافة الغربية ونمط حياتها من غزو كل بيت، وفي كل ساعة فقد أصبح التلفزيون الذي يبث على مدار الساعة برامجه المختلفة وبأسلوب جذاب يجعل أفراد الأسرة على مختلف مستوياتهم وبمختلف أعمارهم يتلقون هذه البرامج ويتعرضون لهذه المتغيرات بهدوء وبطواعية تامة لينصبغوا بالصبغة الغربية معتقدا وثقافة وسلوكيات اجتماعية، أما شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) فلها شأن آخر في عرض الأفكار والقيم والمغريات (مسلّم و مُحَمَّد الزغبي، 2007، صفحة 295).

6- المدرسة ودورها في تحقيق الأمن الفكري:

حرّي بنا قبل أن نتعرف على دور المدرسة في تحقيق الأمن الفكري؛ أن نتعرف بداية على معنى هذا الأخير وهذا من خلال التعرف على مكونيه، وهما الأمن والفكر، فقد ورد بشأن المعنى اللغوي للأمن في لسان العرب:" أمن : الأمان: والأمانة بمعنى وقد أمنت فأنا آمن، وآمنت غيري من الأمن والأمان. والأمن ضد الخوف. والأمانة ضد الخيانة... وفي التنزيل﴿الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ (سورة قريش، الآية 4)، وفي حديث نزول المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام: وتقع الأمنة في الأرض أي الأمن، يريد أن الأرض تمتلئ بالأمن فلا يخاف أحد من الناس والحيوان (ابن منظور، 1999، صفحة 223)، ومن هنا يمكننا القول بأن المعنى اللغوي للأمن لا يخرج عن دائرة الشعور بالحماية والأمان، والسكينة والاطمئنان، والثقة، وعدم الخوف .

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت مفاهيم الأمن في القديم والحديث، وهي لا تخرج في عمومها عن معناه اللغوي، فقديما قالوا بأن الأمن: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي" (الجرجاني، 1405هـ، صفحة 55)، أما حديثا فقد تطور مفهوم الأمن نتيجة لتطور المجتمعات البشرية، وتنوع الحاجات الإنسانية، فظهر مفهوم الأمن النفسي، والأمن السياسي، والأمن الاقتصادي، والأمن الفكري. وغيرها من أنواع الأمن التي تهدف إلى الحفاظ على مصالح البشر التي يخافون عليها، ويحرصون على صيانتها،حفظها ورعايتها، بجلب المنافع وتحقيقها، ودفع الأضرار وإزالتها، ولأن الإنسان يعيش في مجتمع تحكمه سلطة؛ فإن على هذه السلطة أن توفر الأمن للأفراد التابعين لها داخليا وخارجيا، وهذا باتخاذها لمجموعة من الإجراءات التربوية والوقائية والعقابية؛ فالأمن هو شعور الإنسان بالاطمئنان على حياته، وممتلكاته داخل مجتمعه.

أما عن الفكر فقد جاء بخصوص معناه اللغوي في لسان العرب ما يلي:" الفكر إعمال الخاطر في الشيء والتفكر التأمل، والاسم الفكر والفكرة" (ابن منظور، 1999، صفحة 307)، وفكّر في الأمر فكراً أي أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى معرفة المجهول، والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول (مجمع اللغة العربية، 1985، صفحة 724)، وهذا هو المعنى الذي يشير إليه المفهوم الاصطلاحي للفكر فيقال:" فكر في الأمر تفكيرا أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول. وفكر في المشكلة أعمل الروية فيها ليصل إلى حلها، والتفكير عند معظم الفلاسفة عمل عقلي عام يشمل التصور والتذكر والتخيل والحكم والتأمل، ويطلق على كل نشاط عقلي، ومنه قول ديكارت : أنا أفكر، إذن أنا موجود (صليبا، 1982، صفحة 317).

وعموما يمكننا القول بأن المعنى الاصطلاحي للفكر لا يخرج عن دائرة عمل العقل ونتاجه، وقد وجّه الإسلام الأنظار إلى ضرورة العناية بالفكر والمحافظة عليه من كل شئ يؤدي به إلى الانحراف واهتم اهتماما بالغاً بآلة الفكر وهي العقل, ودعا إلى التفكر الذي يقود إلى ما ينفع الإنسان من معرفة الله وخشيته والانقياد له سبحانه وتعالى. ففي القرآن الكريم وردت لفظة "التفكر" كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (سورة الأعراف، الآية 184)، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ (سورة

البقرة، الآيتان 219 – 220).

وبالاعتماد على ما تم عرضه سابقا يمكننا القول أن الأمن الفكري، كمفهوم مركب يشير إلى جملة التصورات والقيم التي تكفل صيانة الفكر، وحفظه من عوامل الشطط وبواعث الانحراف التي تميل به عن الجادة وعن الأصل، ومن هنا ينبغي التأكيد على أن مفهوم الأمن الفكري لدى هذه الأمة، يعني أن يعيش أهل الإسلام في مجتمعهم آمنين مطمئنين على منظومتهم المعرفية والفكرية المنبثقة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيّه الكريم، فمفهوم الأمن الفكري يستمد جذوره من عقيدة الأمة ومبادئها ومسلماتها، فإذا اطمأن أهل الإسلام على مبادئهم، وقيمهم، وثقافتهم الأصيلة والمتميزة، تلك التي تحرص المدرسة على غرسها في الناشئة، وأمنوا شر المبادئ الوافدة والأفكار المنحرفة المستوردة، ولم يقبلوا التنازل عن شيء من ثوابتهم، وعملوا على صيانتها فقد تحقق لهم الأمن الفكري.

والحقيقة الواضحة والمؤكدة اليوم؛ هي أن المدرسة من بين المؤسسات المستهدفة من طرف الغرب لتغريبها، لأن الغرب يدرك جيدا أهمية التعليم وبأنه من أهم وسائل الغزو الفكري، ولذلك أقرت سياسات الدول الأوربية الغازية كلها بضرورة اختراق التعليم في العالم الإسلامي، ومحاربته وتغريبه فالتعليم هو البوابة التي تؤدي إلى عقول الناشئة؛ قصد برمجتها على الطريقة الغربية في التفكير.

ولقد أدرك الاستعمار أهمية التعليم وخطورته، فاتجه إلى محاربته وضرب قلاعه في العالم الإسلامي، كالأزهر في مصر، وجامع القرويين في المغرب، وجامع الزيتونة في تونس، وغيرها من المؤسسات الإسلامية، فرمى الاستعمار هذا التعليم بالجمود، وعمل على محاصرته، وتضييق الخناق عليه، ثم شرع ينشئ التعليم العلماني، وينشره.

إن التعليم من أهم ركائز المجتمعات والأمم، وأحد أبرز عوامل نهضتها، ولذلك لا يفلح مجتمع، ولا أمة تجعل التعليم، في مؤخرة اهتماماتها. وإذا كان الانسجام والتكامل بين القيم والمبادئ الإسلامية وبين النظم والمناهج التربوية والتعليمية القائمة في ديار الإسلام قد بدا واضحا على مدار التاريخ، لأن الركود وبطء التغير سمحا بتحقيق هذا التكامل، فإن الأمر اليوم قد أصبح مختلفا تماما، فقد أصبحت حاجة المجتمعات إلى التطور ملحة، وقد أدى سعيها إلى التقدم إلى تفكيك النظم الثقافية والاجتماعية الموروثة.

فقد أدت الوافدات الثقافية ومتطلبات العيش، إلى الإقبال على نوع من التربية (الشيباني، 1988، صفحة 31،30) والتعليم لم نكن في الماضي مهيئين لتقديمه، مما أدى إلى اختلاط واضح في المفاهيم والمثل والقيم، وهذا من شأنه أن يقلل من فاعلية النظم والمناهج القائمة، وأن يستدعي تغييرات كثيرة، قد تؤدي إلى ظهور أشكال من الأزمات الأخلاقية والاجتماعية... وفي حالة اختلاط المفاهيم وضعف الثقة بالقيم الموروثة، يجد التعليم نفسه عاجزا عن إصلاح الخلل (بكار، 2011، صفحة 340)، وإذا ما تم تجاهل معطيات الواقع الجديد ومجرياته، وتحجرت النظم والمناهج التعليمية على أنماط فكرية قديمة لن يتمكن التعليم من مواكبة مجريات التقدم.

ولأن البنية الثقافية لأية أمة ليست ثابتة أو نهائية، وإنما هي في تجدد مستمر، فإن الأمة تظل بحاجة إلى ترسيخ عدد من القيم التي تمثل جزءا مهما من منهجيتها العليا، وتلك التي يحتاجها النهوض الشامل الذي تسعى إليه، من نحو: الإخلاص، والصدق، والنزاهة، والتشاور، والعدل، والحرية، والإنصاف، وحفظ الحقوق، والتعاون، والتفتح، والدقة والجدية، والإيثار وسعة الفهم، والمثابرة، والمرونة، ومهمة التعليم والتربية هي تأكيد هذه القيم، والكشف عن كل ما يتعارض مع مدلولاتها (بكار، 2011، صفحة 111). خاصة وأن هناك الكثير من الأفكار الهدامة والمسمومة التي وجدت طريقها إلى العالم العربي الإسلامي، وهي تلك التي عمل على نشرها والترويج لها أولئك المنبهرين بالثقافة الغربية،

والداعين إلى مواكبة التطور العلمي والتكنولوجي الذي أحرزته الحضارة الغربية والذي ألقى بضلاله على شتى بقاع العالم، وهذا تحت غطاء العولمة التي لم تقتصر على عولمة الاقتصاد والسياسة؛ بل امتدت إلى التربية والثقافة وكل مناحي الحياة.

لقد تمكن الغزو الفكري الغربي في عصر الانفتاح؛ الذي أحدثته ثورة المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا الحديثة، وعبر مناهج التعليم من نشر كثير من الأفكار الهدامة في المجتمعات الإسلامية، وعمل على تشويه علوم المسلمين وثقافتهم وأخلاقهم، وأوهم الناس بان التطور والتمدن والتحضر لن تكون إلا باعتناق ما يمليه الغرب، وما يقدمه من مفاهيم ومناهج؛ وقد تأثر الكثير من المفكرين بأفكار المفكرين العلمانيين، ومهندسو البرامج والمناهج الدراسية الغربيين؛ الذين تغذيهم الإيديولوجيا الغربية والنزعات البراغماتية، والماركسية، والوجودية، والمثالية، والطبيعية وغيرها.

ولذلك فإن على القائمين على شؤون التربية والتعليم بكل أطوارها، وخاصة الأطوار الأولى أن يأخذوا بعين الاعتبار ضرورة الاستفادة من التطور الحاصل في وسائل الإعلام والاتصال، والتشغيل الحذر لها بما يتناسب مع المبادئ والقيم الإسلامية، وهذا لربط الناشئة وباستمرار بمرجعية الأمة، تلك التي تحفظها من التشتت والتمزق والضياع، لأن العالم اليوم أصبح يعاني من كوارث وأزمات أدت إلى زعزعة المفاهيم، وعدم الاستقرار في طريقة التفكير، وعدم تحقق الأمن الفكري .

ولقد أصبح من الواضح والجلي اليوم أن تحقيق الأمن في المجتمع لم يعد حكرا على رجال الشرطة، كما قد يتوهم البعض، وإنما هو مهمة كل مؤسسات الدولة، وعلى رأسها المدرسة التي ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار بأن الأمن بمفهومه العام لا يمكن تحقيقه إلا عن طريق الأمن الفكري، فهذا الأخير هو أساس الحياة ولذلك ينبغي العمل على محاربة الأفكار المنحرفة التي تستهدف فئة الشباب بالدرجة الأولى، لأن الشباب هو الركيزة الأساسية لأي مجتمع، ومن ثم وجب على المدرسة أن تعمل على حماية وتأمين معتقداته الفكرية.

وليس من باب المبالغة القول بأن الغزو الفكري؛ قد أصبح اليوم أشد فتكا من غزو السلاح لما له من آثار سلبية آنية ومستقبلية على حياة الأمة، ولذلك حظي مفهوم الأمن الفكري باهتمام الدارسين والباحثين، بعدما تبين لهم أن الانحراف الفكري الذي تشهده الأوساط الاجتماعية في كثير من المجتمعات إنّما هو نتيجة لغياب الأمن الفكري وفي ظل الوضع الراهن للمجتمع الإسلامي، وما يشهده من استقبال للتيارات الغربية الوافدة، العلمانية منها والملحدة، والمادية، وغيرها؛ تظهر الحاجة ماسة اليوم، وأكثر من أي وقت مضى لضبط مفاهيم المصطلحات المتداولة على الصعيد المحلي والعالمي لأن المعركة اليوم هي معركة مفاهيم.

فالغرب يسعى باستمرار إلى زعزعة المفاهيم والتشويش على المنظومة الفكرية والمعرفية الإسلامية؛ لأنه يدرك جيدا بأن الفكر هو الركيزة الأساسية لحركة سلوك الإنسان وتصرفاته، ولذلك فإن عملية التأثير والتغيير في توجهات الإنسان، وسلوكاته تكون عبر بوابة الفكر والتعليم، والمدرسة هي المحطة الأولى التي يتزود فيها الإنسان بأفكار وعلوم ومعارف ترسم له الطريق نحو عالم النجاح أو الفشل، ونحو عالم الأمن والاستقرار أو عالم الضياع والتشتت، تبعا للأفكار والقيم التي يتشبع بها فعلى المدرسة أن تعمل على حسن اختيار المناهج والمقررات والمضامين الدراسية، التي تحقق الأمن الفكري للتلاميذ، وعلى المدرسة أن تتعامل بذكاء وحذر مع رياح التغيير التي تهب من كل مكان، فالمدرسة للأمة هي حصنها الحصين الذي يحمي فكرها وعقيدتها، ويحفظ هويتها ويعمل على تحقيق وحدتها وتماسكها، ويرسم طريق النجاح لأبنائها.

وعلى المدرسة وهي تعمل على توجيه نشاط الأفراد، من أجل تحقيق نظام ثقافي متكامل في المجتمع أن تأخذ بعين الاعتبار بأن العقيدة هي أساس الأمن الفكري، وهي أساس كل شيء في حياة الإنسان ولعل أخطر الأنشطة المعاصرة التي تبرز على الساحة الدولية الآن، ويحكمها معيار العقيدة، هو النشاط الإعلامي، فلا يكاد يوجد إعلام متجرد وموضوعي بالمعنى المقصود من هذه الكلمة، فكل الشواهد العلمية والتجارب العملية تؤكد أن الإعلام لا يعمل إلا ضمن إطار مرجعي يحكم نشاطه، ويحدد غاياته، ولذلك فإن العمل الإعلامي لا بد أن تحكمه مرجعية، تحدد له رؤاه الفكرية، وتمده بالزاد الروحي والقوى المعنوية اللازمة، لكي ينجح في إقناع الجمهور واستمالته، وتكمن المرجعية الإسلامية في الاستمساك بما أنزل الله تعالى، لأن العقيدة كفيلة بتحقيق الإشباع الروحي والعقلي والبدني (عبد الحليم، 1998، صفحة 90،89).

إن على المدرسة أن تنبه أبناءها إلى إن الوحي الذي تنكّر له الغرب_ لأسباب تاريخية_ هو الذي يمنح إطار التوازن والتكامل للأعمال التربوية، وهو الذي يؤمن نوعا من الانسجام والتلاحم بين متطلبات الفطرة في النفس البشرية، ومتطلبات الانتماء التاريخي والمجتمعي، ومتطلبات العيش الكريم، وقد أدرك الغرب عمق الهوة والفجوة التي تركها الابتعاد عن الدين، فحاول ردمها بالكثير من الدراسات النفسية والاجتماعية والتربوية، فكانت النتائج مخيبة للآمال على الصعيد العملي؛ حيث زاد انتشار الجريمة وإدمان المخدرات والانحلال الخلقي والقيمي والتفكك الأسري أما أمة الإسلام فقد أكرمها الله عز وجل بالوحي الذي وضع يدها على الكثير من مكونات النفس البشرية، ورسم لها الأهداف الكبرى التي ينبغي أن تسعى لإنجازها، وحدد لها الثوابت، ووضّح لها الخطوط العريضة، والأطر العامة، ويبقى على المسلمين أن يقوموا بواجبهم في تلبية مطالب ما تأتي به المتغيرات، واختلافات الأزمنة والأمكنة والتحولات الثقافية الكبرى (بكار، 2011، صفحة 16،15).

والمطلوب اليوم هو إشعاع فكري، إيماني متبصر ومنفتح يعتنقه، ويلتزم به رجال التربية ورجال الإعلام في مختلف مواقعهم، ويجب "أن تصبح مهمة التخطيط للتعليم المتخصص في مجالات الإعلام من الأولويات، وأن نحسن إعداد المناهج العلمية والعملية لتدريب الشباب على استخدام وسائل الإعلام وتقنياته المتطورة، حتى يصبح قادرا على التحدث بلغة العصر (سفر، 1982، صفحة 78،75) وحتى يكون متمكنا من التعامل مع آخر تطورات صناعة الإعلام وفنونه، وقادرا على اختيار المحتويات والمضامين، التي تنسجم مع قيم المجتمع الإسلامي، وأصالته، وتراثه الفكري والعقائدي.

7– خاتمة:

وفي الختام يمكننا التأكيد على أن المدرسة هي أساس المجتمع، فهي التي تعمل وعبر بوابة التربية والتعليم على تنشئة الأطفال وإعدادهم ليكونوا أفرادا صالحين في المجتمع، وقادرين على التكيف مع ظروفه ومستجداته، وإذا كانت التربية هي أساس نهضة الأمة وصلاحها، فإن وسائل الإعلام والاتصال على اختلافها وتنوعها قد أصبحت وسيطا تربويا قويا وخطيرا، يؤثّر بشكل فعّال في بلورة آراء الأفراد وتوجهاتهم، ويساهم في تشكيل الثقافة العامة، والقيم المجتمعية، وإذا كان الإعلام قد أصبح يمتلك التأثير الأكبر في مجال التربية والتوجيه والتنشئة الاجتماعية، فإن هذا قد أصبح يشكّل خطرا على التربية.

ولذلك فإن على المدرسة اليوم أن تنبّه إلى خطورة الإعلام المنحرف؛ لحماية أطفالنا وشبابنا وترسيخ عقيدة الإسلام في نفوسهم، وهي العقيدة التي تحقق أمنهم الفكري والنفسي والثقافي وكل أنواع الأمن التي يمكن الحديث عنها ومن هنا فإنه ينبغي الحرص على التشغيل الحذر لوسائل الإعلام والاتصال، لأن هناك تخطيط محكم، وتنظيم دقيق من

قبل مصادر الغزو الفكري والثقافي، لتسخير التعليم والإعلام بكافة وسائله وصوره، في مجال الحرب الفكرية الموجهة ضد المسلمين، بهدف تحطيم المقومات العقدية والفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية.

وإذا كان التطور الحاصل في وسائل الإعلام والاتصال يبدو على أنه بمثابة النصر الحقيقي لعصرنا هذا، وهو عصر الانفتاح والتواصل الإنساني الذي يخترق جميع الأوساط الاجتماعية وينظّم الحياة اليومية، وبأنه يمثل قيمة من القيم المركزية للمجتمع الإنساني المعاصر، فإنه في الحقيقة سلاح ذو حدين، ولذلك فإن على مؤسسات الدولة الرسمية والتي تمتلك سلطة التأثير والتغيير، وعلى رأسها المدرسة أن تسعى للاستفادة من هذا التطور، وأن تكون حذرة في استخدام وسائل الإعلام والاتصال، وتعمل على ترشيد القيم الإيجابية لمواجهة التحديات؛ التي تتطلب إنسانا على قدر كبير من الوعي والاستعداد لمواجهة رياح التغيير العولمي، وإذا كان للإعلام كبير الأثر في تشكيل الآراء والمعتقدات الاجتماعية والتربوية والأخلاقية، فإن على المدرسة أن تدرك أهميته وخطورته، وتعمل على ترسيخ القيم التربوية الأصيلة، وهذا عبر مناهج ومقررات مدرسية، قادرة على تعديل السلوك الإنساني، بما ينسجم مع عقيدتنا، وقيمنا، وآدابنا، وبما يحفظ مصلحة الفرد والمجتمع دينا ودنيا.

8- قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ القرآن الكريم

ابراهيم ,ن .(1409) .أسس التربية،ط .2عمان :دار عمار.

ابن منظور ,م .ب .(1999) .لسان العرب، ج10، ط .3بيروت، لبنان :دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور ,م .ب .(1999) .لسان العرب،ج1، ط .3بيروت، لبنان :دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور ,م .ب(1300) .هـ لسان العرب،ج .15السعودية :دار النوادر.

ابو رزق ,ح .ع .(1425) .المدخل إلى التربية .جدة :الدار السعودية للنشر.

الأصفهاني ,ا) .د.ت .(المفردات في غريب القرآن، ج .1السعودية :مكتبة نزار مصطفى الباز.

الجرجاني ,ع .ب1405) .هـ .(التعريفات، تحقيق ابراهيم الابياري، ط .1بيروت، لبنان :دار إحياء التراث العربي.

الحاج ,م .أ .(2003) .أصول التربية،ط .2عمان :دار المناهج.

الشمايلة ,م .ع .,اللحام ,م .ع & .,كافي ,م .ي .(2015) .الإعلام والإتصال،ط .1عمان، الأردن :دار الإعصار العلمي.

الشميمري ,ف .ب .(2010) .التربية الإعلامية كيف نتعامل مع الإعلام؟ .الرياض.

الشيباني ,ع .ا .(1988) .فلسفة التربية الإسلامية .الدار العربية للكتاب.

الصالح ,م .(1999) .الشامل قاموس مصطلحات العلوم الإجتماعية، ط .1الرياض، المملكة العربية السعودية :دار عالم الكتب.

إمام ,ا .(1989) .التلفزيون وقيم الإسلام .القاهرة :مكتبة وهبة.

بدوي ,أ .ز .(1977) .معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية .لبنان-بيروت :مكتبة لبنان.

بكار ,ع .ا .(2011) .حول التربية والتعليم .دمشق :دار القلم.

حارص ,ص .(2008) .الإعلام العربي والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية .القاهرة :العربي للنشر والتوزيع.

ديوي ,ج .(1978) .المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، ط .2بيروت، لبنان :دار مكتبة الحياة.

راضي ,س .ب1417) .هـ .(الإعلام الإسلامي رسالة وهدف، العدد .172رابطة العالم الإسلامي.

زهران ,ح .ع .(1984) .علم النفس الإجتماعي .القاهرة :عالم الكتب.
سفر ,م .م .(1982) .الإعلام موقف .جدة، المملكة العربية السعودية :تهامة.
شفيق ,م .(1997) .التشريعات الإجتماعية،ط .2الإسكندرية :المكتب الجامعي الحديث.
صليبا ,ج .(1982) .المعجم الفلسفي،ج .1بيروت،لبنان :دار الكتاب اللبناني.
عبد الحليم ,م .ا .(1998) .إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية .قطر :وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
عيساني ,ر .ا .(2008) .مدخل الإعلام والإتصال، المفاهيم الأساسية والوظائف الجديدة .عمان، الأردن :جدار للنشر والتوزيع.
غدنز ,أ .(2005) .علم الإجتماع، ترجمة فايز الصّياغ، ط .1بيروت :المنظمة العربية للترجمة.
غيث ,ع .(1997) .قاموس علم الإجتماع .القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب.
مجمع اللغة العربية .(1983) .المعجم الفلسفي .القاهرة :الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
مجمع اللغة العربية .(1985) .المعجم الوسيط، ج2، ط .2 مصر :دار عمران.
مسعود ,أ .ط .(2011) .المدخل إلى علم الإجتماع، ط .1عمان :دار جليس الزمان.
مسلّم ,م &.,مُحَمَّد الزغبي ,ف .(2007) .الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، ط .1عمان، الاردن : إثراء للنشر والتوزيع.